الاستراتيجية الروسية تجاه سوريا

استراتيجية التدخل الفعال لاستعادة النفوذ

أ.م.د. أحمد عبد الأمير الأنباري

جامعة بغداد

مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية

ملخص

واجهت روسيا تحديات عديدة وكبيرة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، وتلك التحديات كانت على المستويين الداخلي والخارجي. وفي مقدمة التحديات ما يتعلق بضمان الأمن القومي الروسي، وما يتعلق باستعادة المكانة الدولية لروسيا كقوة عظمى على المستوى العالمي الى جانب الولايات المتحدة الأمريكية. أدى تفكك الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة الى تراجع مكانة روسيا في النظام الدولي، فروسيا بعدها وريث الاتحاد السوفيتي واجهت تحديات عدة أثرت في تراجع دورها على المستوى العالمي، وفي منطقة الشرق الأوسط. وبذلك تراجع النفوذ الروسي في السياسة الدولية بشكل كبير، الأمر الذي أفقدها عدد من مناطق نفوذها، وضعف هذا النفوذ في مناطق أخرى. الا ان روسيا بعد وصول الرئيس فلاديمير بوتين الى السلطة في العام ٢٠٠٠ عملت على تحقيق هدف استعادة مكانة روسيا الدولية، واستعادة دورها في عالم متعدد الأقطاب، وتعزيز حضورها ونفوذها في مناطق عدة ومنها منطقة الشرق الأوسط. وعزز التدخل الروسي في سوريا منذ العام ٢٠١١، وحضورها المؤثر والفاعل، وتمكنها من فرض رؤيتها للحل، فرص تحقيق هدف استعادة النفوذ والمكانة الدولية لها.

Abstract

The topic area of that's paper dealing with new strategy of Russia in Middle East region، needless to mention that's Russia experienced many of challenges، the most important of them dealing with safeguard the Russian National Security، and recovery the Russian hegemony in World field، yet the

vision of Russia as Super World Power was eroded during 1990s، yet with Presidency of Vladimir Putin in 2000، experienced a to recovery Russia as influential power in World politics، the Middle East region consider as one of the most important region for test new Russian politics، the intervention in Syrian after 2011 as one of good model for Russian recovery ،it is able to impose its vision for crises solution، that's make its chances Russian recovery and hegemony as possible.

مُقَدِّمَة

بعد تفكك الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة واجهت روسيا، وريث الاتحاد السوفيتي، عدد من التحديات الداخلية والخارجية، أدت الى انشغالها بمواجهة تلك التحديات، فضلاً عن تراجع مكانتها الدولية كقوة عظمى. غير ان وصول الرئيس فلاديمير بوتين الى السلطة في العام ٢٠٠٠ قد أشر بداية استراتيجية روسية لاستعادة تأثيرها ومكانتها الدولية في نظام دولي متعدد الأقطاب، والحد من الهيمنة الأمريكية وتفردها بالشؤون الدولية.

ويؤشر التدخل العسكري الروسي في سوريا تأكيد الحضور الروسي في منطقة الشرق الأوسط، ومؤشر مهم في الاستراتيجية الروسية لاستعادة التأثير الدولي والدور الفاعل في الشؤون الدولية، لاسيما بعد تمكن روسيا من فرض وجهة نظرها في القضية السورية منذ العام ٢٠١١ والى الآن.

إشكالية البحث:

شكل التدخل العسكري الروسي في سوريا لصالح الدولة السورية ونظامها بعد الأحداث التي شهدتها منذ العام ٢٠١١، تطوراً مهماً في اطار الجهود الروسية لاستعادة مكانتها الدولية في نظام متعدد الأقطاب، والحد من الهيمنة الأمريكية على الشؤون الدولية.

يسعى البحث لتوفير الإجابة عن التساؤلات الأتية:

١. ما طبيعة التحديات التي واجهتها روسيا بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، والتي حددت خياراتها الاستراتيجية؟

٢. ما هي دوافع التدخل العسكري الروسي في سوريا؟

٣. ما تأثير الاستراتيجية الروسية في سوريا في استعادة نفوذها ومكانتها الدولية؟

فرضية البحث:

التدخل العسكري الروسي في سوريا وفرض رؤيتها للحل يأتي ضمن استراتيجية روسية لاستعادة مكانتها وتأثيرها الدولي، عبر إصرارها على الاحتفاظ بمنطقة نفوذ مهمة لها في منطقة الشرق الأوسط، وهي تدرك ان الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية لا تعترف لروسيا بدور عالمي ما لم تثبت قدرتها بفرض نفوذها في المناطق ذات الأهمية، وحضورها الفاعل في القضايا الدولية.

هيكلية البحث:

قسم البحث الى ثلاث مباحث، فضلاً عن المقدمة والخاتمة، وهي:

المبحث الأول: الاستراتيجية الروسية ١٩٩١ – ١٩٩٩

المبحث الثاني: تطور الاستراتيجية الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط بعد العام ٢٠٠٠

المبحث الثالث: الاستراتيجية الروسية تجاه سوريا ودورها في استعادة النفوذ الروسي

المبحث الأول

الاستراتيجية الروسية ١٩٩١ – ١٩٩٩

واجهت روسيا تحديات عديدة وكبيرة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، وتلك التحديات كانت على المستويين الداخلي والخارجي. وفي مقدمة التحديات ما يتعلق بضمان الأمن القومي الروسي، وما يتعلق باستعادة المكانة الدولية لروسيا كقوة عظمى الى جانب الولايات المتحدة الأمريكية القوة العظمى الأخرى على المستوى العالمي. فعلى المستوى الداخلي واجهت روسيا تحديات اقتصادية وسياسية وأمنية[١]. ففي الجانب الاقتصادي على سبيل المثال انخفض الإنتاج الصناعي بعد أن توقفت نحو (٥٠٪) من المؤسسات الصناعية منها نحو (٧٠٪) من الصناعات الثقيلة، وتراجع

الإنتاج الزراعي، وتراجعت الصادرات الروسية بنسبة تصل نحو (٥٠٪)، ووصلت استيراداتها من المواد الغذائية الى نحو (٧٠٪). مع انتهاء رئاسة بوريس يلتسين الثانية بلغت ديون روسيا نحو (٢٠٠) مليار دولار، وزيادة أعداد البطالة الى نحو (٢٠) مليون عاطل عن العمل. وتلك التحديات لا سيما في جانبها الاقتصادي أثرت سلباً على مكانة روسيا على المستوى الدولي وتراجع دورها في القضايا الدولية[٢].

ويمكن تحديد توجهات السياسة الخارجية لروسيا لفترتي رئاسة بوريس يلتسين بأنها مرت بمرحلتين، تمثلت المرحلة الأولى ١٩٩١ – ١٩٩٣ بالتوجه نحو تعزيز العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية والتقارب معهم، ووصفهم من قبل الرئيس الروسي يلتسين بأنهم حلفاء طبيعيين، وفي الوقت نفسه أشر تراجع الاهتمام الروسي بالمحيط الإقليمي. غير أن السياسة التي اتبعتها الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية من خلال حلف شمال الأطلسي بالتوسع نحو الدول التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي ومنها الدول المجاورة لروسيا، دفعت بصانع القرار في روسيا الى تبني توجهات جديدة للسياسة الخارجية ترتكز على الاهتمام بالمحيط الإقليمي لروسيا والذي اعتمد للمدة من نهاية العام ١٩٩٣ الى نهاية العام ١٩٩٩[٣].

بهذا المعنى، حددت روسيا أهداف سياستها الخارجية بوثيقة السياسة الخارجية الروسية التي صادق عليها مجلس النواب الروسي في العام ١٩٩٣، والتي جاء فيها[٤]:

١. تعزيز الحدود الجديدة لروسيا الاتحادية.
٢. التكامل مع دول رابطة الدول المستقلة.
٣. اقامة علاقات جيدة ومثمرة مع الدول المجاورة لروسيا.
٤. تطوير العلاقات مع دول المحيط الهادئ الآسيوية.
٥. استثمار المساعدات الدولية لأغراض الإصلاحات الداخلية.

فتوسع حلف شمال الأطلسي في مناطق النفوذ الروسي وتزايد نشاطاته أوجد القناعة لدى الحكومة الروسية بمخاطر هذا التوسع على الأمن القومي الروسي، وهو ما يستدعي استراتيجية روسية جديدة من شأنها

مواجهة هذا الأمر[٥]. ففي تصريح لرئيس لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان أمبارتسوف في العام ١٩٩٣ أكد فيه على " إن المجال السوفيتي السابق منطقة خاصة للنفوذ الجيوبوليتيكي الروسي "، وفقاً لما تقدم، جاءت الاستراتيجية الروسية التي أعلن عنها الرئيس الروسي بوريس يلتسين في ٢/ ١/ ١٩٩٤ لتشير الى التدخل بشكل حاسم باستخدام القوة المسلحة لضمان مصالح روسيا وحمايتها في المناطق التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي ورابطة الدول المستقلة[٦].

المبحث الثاني

تطور الاستراتيجية الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط بعد العام ٢٠٠٠

أدى تفكك الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة الى تراجع مكانة روسيا في النظام الدولي، فروسيا بعدها وريث الاتحاد السوفيتي واجهت تحديات عدة على المستويين الداخلي والخارجي[٧]، وفي مختلف القطاعات الاقتصادية والأمنية والعسكرية والسياسية. وهذا أدى الى تراجع دورها على المستوى العالمي، وفي منطقة الشرق الأوسط. وبذلك تراجع النفوذ الروسي في السياسة الدولية بشكل كبير، الأمر الذي أفقدها عدد من مناطق نفوذها، وضعف هذا النفوذ في مناطق أخرى.

الا ان روسيا تمكنت بعد عقد من الزمن من تجاوز تحدياتها، وبدأت العمل على استعادة مكانتها الدولية[٨]. فمع وصول الرئيس فلاديمير بوتين الى السلطة[٩] في العام ١٩٩٩ أعلن عن قراره بإعادة الوجود العسكري الروسي في منطقة البحر المتوسط على غرار ما كان أيام الاتحاد السوفيتي بوجود قاعدة بحرية له في ميناء طرطوس السوري، وغيرها. ولأهمية هذا الهدف تم تضمينه في العقيدة البحرية الروسية للعام ٢٠٠١ والتي تمتد حتى العام ٢٠٢٠. فالعقيدة البحرية الروسية التي تم تبنيها في العام ٢٠٠١ تستند الى ان البحر المتوسط منطقة مهمة من الناحية الاستراتيجية بالنسبة لروسيا، ولهذا استهدفت هذه العقيدة تأمين الوجود البحري الروسي في هذه المنطقة. ولهذا تم تأمين ما يتطلبه عمل سفن الأسطول الحربي الروسي من مستلزمات مادية وتقنية، ومستودعات، وحوض إصلاح السفن، وثلاث منصات عائمة، وغيرها من المستلزمات. وقد أجرت القوات البحرية

الروسية عدة مناورات في منطقة شرقي البحر المتوسط منذ العام ٢٠٠٧[١٠].

وبهذا فان روسيا بعد وصول الرئيس فلاديمير بوتين الى السلطة عملت على تحقيق هدف استعادة مكانة روسيا الدولية، واستعادة دورها في عالم متعدد الأقطاب، وتعزيز حضورها ونفوذها في مناطق عدة منها منطقة الشرق الأوسط[١١]. إذ ان المخاوف الروسية بشأن الهيمنة الأمريكية واستحواذها على الدور الشامل في الشؤون الدولية، دفع بصانعي القرار في روسيا للتركيز على مفهوم النظام الدولي المتعدد الأقطاب، الذي عدته " مفتاح الاستقرار الدولي "[١٢].

وقد واجهت روسيا تحديات عديدة، منها النزاعات الحدودية مع دول جوارها. ومن تلك النزاعات ما يتعلق بالحرب الروسية – الجورجية في العام ٢٠٠٨، المتعلقة بإقليم أوسيتيا الجنوبية. إذ تدخلت القوات الروسية وتمكنت من إخراج قوات جورجيا خارج أوسيتيا[١٣]. وكذلك ما حصل في أوكرانيا من أزمة في العام ٢٠٠٤، وكذلك الأزمة التي حصلت في العام ٢٠١٤. وكذلك ما يتعلق بالتحديات المتمثلة بتوسع حلف شمال الأطلسي في الدول المجاورة لروسيا والتي كانت قبل العام ١٩٩١ جزءاً من الاتحاد السوفيتي [١٤]. كما تمثل الأحداث في سوريا منذ العام ٢٠١١ تحدياً كبيراً لروسيا، وغيرها من التحديات التي واجهتها روسيا بعد تفكك الاتحاد السوفيتي.

غير ان هذه التحديات قد تصدت لها روسيا بقوة وحزم مما مثل تحدياً للولايات المتحدة الأمريكية وضغوطها التي مارستها على روسيا. فالتدخل الروسي في أزمة أوسيتيا الجنوبية وإخراج القوات الجورجية منها، وتدخلها في الأزمة الأوكرانية وضمها جزيرة القرم بعد إجراء الاستفتاء، وتدخلها في سوريا وإسهامها في قضية نزع الأسلحة الكيميائية السورية، وإسهامها في عقد مؤتمر جنيف ٢، وتمكنها من كسب اغلب أعضاء قمة العشرين لصاح رؤيتها في الحل للقضية السورية بالتسوية السلمية، كان مؤشراً لتراجع نسبي للتفرد الأمريكي بالشؤون الدولية، يقابله تحسن نسبي في قدرة روسيا على استعادة دورها المؤثر في القضايا الإقليمية والدولية[١٥].

وللأهمية الكبيرة التي تحظى بها منطقة الشرق الأوسط حرصت روسيا على تعزيز نفوذها في المنطقة، فهذه المنطقة هي الساحة

التي تتنافس فيها القوى الدولية للتأثير في بعضها البعض. ولهذا تحرص القوى العظمى والكبرى ومنها روسيا على لتعزيز حضورها في الأحداث التي تحصل في دول المنطقة وتطوراتها، والتأثير في مسارات الأحداث بما يخدم مصالحها. ومن ضمن وسائل التأثير هو سعي روسيا لتشكيل ثقلاً بالمنطقة مواز لسياسة حلف شمال الأطلسي في أوروبا. فالنفوذ الروسي في سوريا له من الأهمية ما يمكن أن يشكل قوة للنفوذ الروسي في المنطقة، فسوريا هي طرف رئيس في الصراع مع إسرائيل، كما أن لها علاقات متميزة مع إيران. وهذا ما يعزز من الحضور الروسي في الذي لا بد من أخذ رأيه في أي ترتيبات تتعلق بالأحداث في سوريا، كما انها طرفًا رئيسا في تشكيل التوازنات في المنطقة وتحديد مساراتها[١٦].

روسيا ترى ان الولايات المتحدة الأمريكية تحاول تعزيز هيمنتها على المنطقة وبما يؤثر في تراجع العلاقات المتنامية والشراكات بين الدول العربية والدول الكبرى الصاعدة في النظام الدولي ومنها روسيا والصين، وذلك من خلال التأثير في الأحداث التي حصلت في عدد من الدول العربية أو صنع بعضها، وبما يمكنها من اعادة رسم خريطة جديدة لمنطقة الشرق الأوسط، وتشكيل دول صغيرة وضعيفة يمكن توجيهها بسهولة ولا تشكل أي تهديد للمصالح الأمريكية في المنطقة. وبهذا تكون سوريا بأحداثها منذ العام ٢٠١١ ساحة تنافس وصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا[١٧].

وفي ضوء ما تم ذكره، يمكن القول ان أهداف روسيا في منطقة الشرق الأوسط تتمثل بـ[١٨]:

١. تأمين مصالحها في المنطقة من خلال العمل على تعزيز فرص الاستقرار في المنطقة.
٢. مواجهة أخطار ثلاث رئيسة في المنطقة تتمثل بالارهارب والانفصال والتطرف، وهو ما تخشى روسيا من انتقالها الى داخل حدودها.
٣. إن تمكن روسيا من فرض وجودها ونفوذها في منطقة الشرق الأوسط يعزز بدرجة كبيرة فرص استعادة نفوذها ومكانتها الدولية كقوة عظمى تسهم

بنسبة كبيرة في تشكيل تفاعلات السياسة الدولية.

٤. تعزيز النفوذ الروسي في منطقة الشرق الأوسط يزيد من قدرة روسيا في الحد من الهيمنة الأمريكية.

بهذا المعنى، سعت روسيا الى تعزيز علاقاتها مع دول منطقة الشرق الأوسط وتحقيق أهدافها في ظل بيئة تنعم بالسلام والتنمية، بعيداً عن التدخلات الأجنبية في شؤونها، ولدولها حرية تقرير مسارها. وبهذا الخصوص يمكن الإشارة الى ان الرئيس فلاديمير بوتن هو أول رئيس دولة غير إسلامية يشارك في العام ٢٠٠٣ في قمة منظمة التعاون الإسلامي، وفي العام ٢٠٠٥ حصلت روسيا على صفة دولة مراقب في المنظمة[١٩].

المبحث الثالث

الاستراتيجية الروسية تجاه سوريا ودورها في استعادة النفوذ الروسي

تمثل الأحداث في سوريا والتدخل الروسي فيها في أحد أوجهها تحدي لروسيا في قدرتها الحفاظ على منطقة نفوذ لها بل تكاد تكون الوحيدة لها في المنطقة، ومن جهة أخرى تحدي لروسيا في سعيها لاستعادة مكانتها كقوة عظمى على المستوى العالمي. إذ ان الحفاظ على النفوذ الروسي في سوريا وتعزيزه من شأنه تعزيز فرص استعادة روسيا لمكانتها كقوة عظمى لما تمثله سوريا من أهمية لروسيا من جهة الموقع الجغرافي، والاعتبارات السياسية، فضلاً عن العلاقات التجارية بين البلدين.

بهذا المعنى، يشير التدخل العسكري الروسي في سوريا الى سعي روسيا لقبولها كفاعل عالمي له دور في كل قرر دولي كبير، وهو ما يشكل تحدياً للولايات المتحدة الأمريكية.

ولهذا حرصت الولايات المتحدة الأمريكية من خلال تدخلها بالأحداث في سوريا على تحقيق هدف يتمثل بحرمان روسيا من نفوذها في سوريا ذات الأهمية البالغة لروسيا. فسوريا تمثل منطقة النفوذ الوحيدة لروسيا في المنطقة بعدما خسرت روسيا مناطق نفوذها وكان أخر ما خسرته ليبيا بالتغيير الذي حصل في العام ٢٠١١. ولهذا روسيا حريصة كل الحرص على دعم النظام السوري بمختلف أنواع الدعم بما فيها تواجد القوات الروسية في سوريا. وقد أخذ الدعم الروسي لسوريا أشكال عدة منها[٢٠]:

١. الدعم العسكري الذي قدمته روسيا الى سوريا من سلاح وعتاد ومعدات عسكرية، فضلاً دعم سلاح الجو الروسي.

٢. الدعم السياسي من خلال لجوئها لحق النقض لمنع تمرير مشروعات القرارات في مجلس الأمن.

٣. الدعم الاقتصادي الذي قدمته روسيا الى سوريا والذي أخذ أشكال عدة منها إعفاء سوريا من جزء من الديون المترتبة عليها لروسيا.

إن فهم الموقف الروسي الداعم للنظام السوري ضد المعارضة المسلحة التي تطالب بإسقاط النظام منذ العام ٢٠١١ يتطلب معرفة الدوافع التي دفعت روسيا لمثل هذا الموقف. فمما لاشك فيه أن ثمة مصالح لروسيا في سوريا على درجة كبيرة من الأهمية التي دفعت بروسيا للوقوف مع النظام السوري بهذا الشكل.

روسيا تعد سوريا بقيادة بشار الأسد ومن قبله والده حافظ الأسد أقرب حلفائها من الدول العربية. وبحكم العلاقات القوية بين البلدين انتقل الكثير من الروس الى سوريا خلال فترة الحرب البادرة، درس الكثير من النخب السورية في الجامعات الروسية الكبرى ومنها على سبيل المثال جامعة موسكو الحكومية. وبسبب الأهمية التي تحظى بها سوريا بالنسبة للاتحاد السوفيتي فقد كان يُشار الى السوريين في البيانات والبث الإذاعي العام بحلفاء وأصدقاء الشعب السوفيتي. وفي المجال التجاري بين البلدين في جانبه العسكري، شهد العام ٢٠٠٠، بوصول الرئيس فلاديمير بوتين الى السلطة ووصول بشار الأسد الى السلطة خلفاً لوالده، بداية مرحلة ارتفاع حجم التجارة بين البلدين، إذ وصلت نسبة ما تستورده سوريا من الأسلحة الروسية للمدة ٢٠٠٧ - ٢٠١٢ نحو (٧٨٪) من مجمل ما تستورده من الأسلحة. وفي مجال الاستثمار تشير بعض المصادر الى ان حجم الاستثمار للشركات الروسية في سوريا منذ العام ٢٠٠٩ بلغ نحو (٢٠) مليار دولار[٢١].

كما ان الدعم الروسي الكبير للنظام السوري منذ العام ٢٠١١، واستعداد روسيا لمواجهة كل الاحتمالات في سوريا، يرجع الى أسباب عدة منها[٢٢]:

١. تُعد سوريا بموقعها الجيو سياسي ذات أهمية كبيرة لروسيا في سعيها لاستعادة مكانتها الدولية ونفوذها الدولي، فضلاً عن كونها توفر منفذاً بحرياً مهماً لروسيا على البحر المتوسط.

٢. تخفيف الضغط على روسيا نتيجة للسياسة الأمريكية الأوروبية عبر حلف شمال الأطلسي للتوسع في الدول التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي، وهذه الدول تعدها روسيا مناطق نفوذها، وهي دول مجاورة لروسيا، وهذا ما سيعمل على محاصرة روسيا[٢٣]. ولهذا تعمل روسيا لمواجهة هذه السياسة التوسعية من خلال تأكيد حضورها في مناطق أخرى، كما في سوريا، وتعزيز نفوذها.

٣. ترى روسيا ان تدخل الدول الغربية لصالح تغيير أنظمة الحكم في عدد من الدول كما حصل في أوكرانيا بدعم حركة التظاهرات الشعبية وغيرها في دول أخرى، يراد منه التخلص من أنظمة الحكم الصديقة لروسيا وتنصيب نظام حكم موالي للغرب ليمهد فيما بعد للانضمام لحلف شمال الأطلسي.

٤. قدمت روسيا مختلف أنواع الدعم لسوريا لأنها تدرك ان خسارة المعركة في سوريا بسقوط نظام بشار الأسد من شأنه إلحاق الضرر بالجهود الروسية لاستعادة مكانتها ونفوذها الدوليين. فمن الناحية الاقتصادية، يمكن لأوروبا أن تستغني عن الغاز الروسي في حال سيطرتها على مصادر الطاقة في المنطقة وطرق نقلها، وهو ما يؤثر سلباً في الاقتصاد الروسي. ومن الناحية الأمنية، تخشى روسيا في حال سيطرة الجماعات المسلحة التي تقاتل ضد النظام السوري من عودة المسلحين الى دولهم المجاورة لروسيا مما يشكل تهديداً لروسيا على حدودها مع تلك الدول.

٥. يمثل الشرق الأوسط بالنسبة الى روسيا المدخل لإنشاء التحالف الأوراسي، وتمثل سوريا بوابة النفوذ الروسي في منطقة الشرق الأوسط. وهو ما يصب في خدمة هدف استعادة روسيا لمكانتها الدولية.

٦. سقوط النظام السوري بدعم أمريكي – غربي يعني خسارة روسيا لحليف لها

لصالح الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية.

ولهذا عملت روسيا كل ما من شأنه دعم النظام السوري، ومنها على سبيل المثال عدم تمرير مشروعات قوانين تتعلق بسوريا في مجلس الأمن باستخدام حق النقض "الفيتو" لتأكيد حضورها ونفوذها وأهمية الحفاظ على سوريا بوضعها الحالي كحليف لروسيا. إذ وجدت روسيا ان الفرصة المناسبة هي في سوريا لاستعادة مكانتها في الساحة الدولية، ومواجهة التفرد الأمريكي والحد منه[٢٤]، وتعزيز وجودها البحري في البحر المتوسط من خلال وجود قواتها البحرية في ميناء طرطوس.

كما يمثل القضاء على الإرهابيين هدفاً روسياً على جانب كبير من الأهمية، وهذا الهدف فضلاً عن هدف مواجهة الهيمنة الأمريكية وتفردها بالشؤون الدولية هما ما أشار لهما الباحث ديمتري ترنين بعدهما هدفان استراتيجيان على جانب كبير من الأهمية، بقوله " ثمة هدفان استراتيجيان كبيران هما الدافع وراء التدخل الروسي في الصراع السوري. الهدف الأول هو تحدي هيمنة الولايات المتحدة في الشؤون العالمية، فيما الهدف الثاني هو مساعدة نظام الرئيس السوري بشار الأسد في حربه ضد المتطرفين الإسلاميين الذين يُعتبرون من ألدّ أعداء روسيا " وجهة النظر الروسية تذهب باتجاه أن استمرار الصراع في سوريا من شأنه زيادة أعداد المقاتلين الارهابيين الذين يمكنهم العودة الى دولهم بما فيها روسيا ودول أسيا الوسطى المجاورة لروسيا، كما ان وجودهم ضمن القوى المعارضة للأسد وهيمنتهم يقوض فرص التوصل الى تسوية سلمية للصراع في سوريا[٢٥].

ولهذا فان الرؤية الروسية ترى ضرورة القضاء على الإرهاب في المناطق التي يتخذها ساحات للقتال، وفي مناطق دعمه، ومناطق نشأته، ومنها سوريا. وبذلك فان التدخل العسكري الروسي في سوريا يمثل في أحد أوجهه استجابة لمتطلبات ضمان الأمن القومي لروسيا، وهو ما مثل أحد أسباب التدخل الروسي في سوريا. كما استهدفت روسيا من تدخلها في سوريا إيصال رسالة واضحة للدول الغربية وقوى المعارضة السورية بتأكيد موقفها الداعم لحيفها النظام السوري وعدم تخليها عنه، مستخدمة

لتحقيق ذلك مختلف الوسائل بما فيها القوة العسكرية، وفرض رؤيتها للحل القائم على الدخول بمفاوضات تسوية دون أي شروط تتعلق بتنحي الرئيس بشار الأسد عن السلطة[٢٦].

مع كل ما تقدم، تمثل الأحداث في سوريا تحد كبير لروسيا ليس في جانبها العسكري الميداني، بل أيضاً من جهة تأديتها لدور دبلوماسي نشط وفعال في دفع الأطراف نحو الحوار، فأسهمت روسيا في مؤتمري جنيف ١ وجنيف ٢، كما كان لروسيا دوراً بحل المشكلة التي أثيرت بسبب الاتهامات الأمريكية للنظام السوري باستخدام الأسلحة الكيميائية وتمكنت من الإسهام بنزع الأسلحة الكيميائية السورية، ونجاحها في سوريا سيعزز من مكانتها في المنطقة وينعكس إيجابا لصالح جهودها في استعادة مكانتها الدولية[٢٧].

وقد تمكنت روسيا الى الأن من النجاح في سوريا عبر استراتيجية فاعلة ومؤثرة في التدخل وتقديم الدعم لسوريا، وإصرارها على رؤيتها الداعمة لبقاء النظام السوري، وإضعاف خصومه في ساحة المعركة، والدفع باتجاه التسوية عبر المفاوضات[٢٨]. وهو ما عزز من نفوذها في سوريا والمنطقة.

ولهذا قدمت مقترحات للولايات المتحدة الأمريكية للعمل على الحد من النفوذ الروسي في منطقة الشرق الأوسط. ومنها ما قدمته أنا بورشفسكايا، التي اقترحت أن تتبنى الولايات المتحدة الأمريكية استراتيجية تقوم على[٢٩]:

١. أن تتعامل الولايات المتحدة الأمريكية مع روسيا بالحد الذي يحول دون وقوع نزاع عسكري، وليس كشريك في الحرب على الارهاب.
٢. تمثل روسيا تحدياً للمصالح الأمريكية والغربية في منطقة الشرق الأوسط فقد تمكنت روسيا من تأكيد حضورها في الأحداث مما عزز نفوذها بالمنطقة. ولهذا يتوجب على الولايات المتحدة الأمريكية " الانخراط بفاعلية في الشرق الأوسط ".
٣. تعزيز قناعة دول المنطقة بأن الولايات المتحدة الأمريكية تدافع عن حلفائها ولا تتخلى عنهم.

٤. التدخل العسكري في سوريا للحد من الدور الروسي الفعال في سوريا.

٥. الى جانب الاستراتيجية العسكرية يجب أن يترافق معها نشاط دبلوماسي فعال يتصدى للنشاط الروسي في المنطقة.

وبهذا فان التدخل الروسي في سوريا مؤشر على تجاوز الاهتمام والدور الروسي بمحيطها الجغرافي الى أقاليم أخرى لروسيا فيها مصالح لا يمكن تجاهلها. وهو ما اتضح من حجم الدعم الروسي للنظام السوري[٣٠]، وإصرارها على الحل السلمي بين الأطراف السورية عبر المفاوضات، ورفضها للشروط المسبقة وفي مقدمتها تنحي الرئيس بشار الأسد عن السلطة.

وهذا الإصرار من جانب روسيا في دعم حليفها الرئيس بشار الأسد، ودفاعها عن مصالحها في المنطقة أثر بشكل كبير لصالح تعزيز الدور الروسي في قضايا المنطقة، كما تعززت الثقة بالسياسة الروسية مما عزز من فرص تطوير علاقات بعض الدول العربية مع روسيا، كما في الحالة المصرية[٣١].

الخاتمة

بوصول الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الى السلطة في العام ٢٠٠٠ أشر تكثيف الجهود لتعظيم فرص استعادة نفوذ روسيا ومكانتها الدولية في ظل نظام دولي متعدد الأقطاب تكون روسيا أحد أقطابه. وتمثل منطقة الشرق الأوسط جزء مهم في توجهات السياسة الخارجية الروسية، وفي استراتيجيتها لاستعادة مكانتها الدولية ونفوذها ودورها العالمي الفعال. إذ ان ما تتمتع به منطقة الشرق الأوسط من أهمية كبيرة لمصالح القوى الدولية، دفع بهذه القوى الى التنافس ليكون لها حضوراً ونفوذاً في هذه المنطقة وبما يضمن تحقيق مصالحها في المنطقة، وهو ما دفع بروسيا الى تبني استراتيجية فعالة تضمن لها تعزيز موقعها ونفوذها في المنطقة، وهو ما تمثل باستراتيجيتها بالتدخل العسكري في سوريا، بعد الأحداث التي بدأت فيها في العام ٢٠١١ ولا زالت، وما رافقها من مواجهات مسلحة، وقفت فيها روسيا الى جانب الدولة السورية ونظامها.

وقد ترتب على الاستراتيجية الروسية الفعالة في سوريا عدة نتائج، منها:

١. أشر ثبات الموقف الروسي الداعم لسوريا ونظامها، وتدخلها الفعال، انها ماضية في فرض حضورها ورؤيتها للحل، وتعزيز نفوذها ووجودها في سوريا.

٢. أشر التدخل الروسي في سوريا خطوة مهمة لصالحها في طريق الحد من التفرد الأمريكي في الشؤون الدولية، وتعزيز فرص نظام دولي متعدد الأقطاب.

٣. انعكس التدخل الروسي في سوريا بشكل ايجابي لصالح استعادة روسيا مكانتها الدولية ونفوذها ودورها الفاعل في الشؤون الدولية.

الهوامش

(١) للتفصيل ينظر: د. فكتور ليبيديف، الأوضاع الاقتصادية والسياسية والأمنية في روسيا الاتحادية، سلسلة محاضرات الإمارات ٢٨، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ١٩٩٩، ص ٣ – ٣٠.

(٢) للتفصيل ينظر: محمد مجدان، سياسة روسيا الخارجية اليوم: البحث عن دور عالمي مؤثر، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٤٧ – ٤٨، خريف ٢٠١٥، ص ٤١ – ٤٧.

(٣) واثق محمد براك السعدون، الاستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة، مجلة دراسات إقليمية، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، العدد ٣٢، ٢٠١٣، ص ٣٩٨. وللتفصيل عن موقف روسيا من توسع حلف شمال الأطلسي نحو الدول التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي، ينظر: د.أحمد باسل البياتي، موقف جمهورية روسيا الاتحادية من توسع حلف شمال الأطلسي، مجلة دراسات إقليمية، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، العدد ٤، كانون الأول ٢٠٠٥، ص ٣١ – ٣٧. كذلك ينظر: د. عدنان السيد حسين، قضايا دولية التوسع الأطلسي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٣٤ – ٧٩.

(٤) د. خلود محمد خميس، الازمة السورية واستراتيجية التدخل الروسي في المنطقة العربية، مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، جامعة بغداد، بغداد، العدد ٦٠، ٢٠١٥، ص ١٢٣ – ١٢٤.

(٥) للتفصيل ينظر: د. أحمد باسل البياتي، مصدر سبق ذكره، ص ٣١ – ٣٧.

(٦) واثق محمد براك السعدون، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٥ – ٤٠٦.

(٧) للتفصيل ينظر: مهيمن عبد الحليم الوادي، السياسة الروسية الثابت والمتحول الجغرافي في ظل المتغيرات الجيوستراتيجية (دراسة في منظور الجغرافية السياسية والجيوبوليتك)، مجلة كلية التربية للبنات، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، المجلد ٢٥، العدد ١، ٢٠١٤، ص ٩١ – ٩٢.

(٨) للتفصيل ينظر: د. حميد حمد السعدون، الدور الدولي الجديد لروسيا، مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العدد ٤٢، ٢٠٠٩، ص ١ – ١٢.

(٩) للتفصيل عن تأثير شخصية الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في صنع القرار ينظر: قاسم دحمان، السياسة الخارجية الروسية في آسيا الوسطى والقوقاز، إي – كتب، لندن، ٢٠١٦، ص ٦٨ – ٧٥.

(١٠) واثق محمد براك السعدون، مصدر سبق ذكره، ص ٤١٧.

(١١) محمد مجدان، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥.

(12) Jeffrey Mankoff، Russian foreign policy the return of great power politics، A council on foreign relations، P. 15.

كذلك ينظر:

Mikkel Bogeskov Eriksen، Russia's Engagement in Syria What are Russia's motives?، Royal Danish Defence College، October 2017، p. 24.

(١٣) للتفصيل عن الحرب الروسية –الجورجية ٢٠٠٨ ينظر: واثق محمد براك السعدون، الأبعاد الإستراتيجية للحرب الروسية – الجورجية آب ٢٠٠٨، مجلة دراسات إقليمية، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، العدد ٣٤، ٢٠١٤، ص ١٨٦ – ٢١٠.

(١٤) للتفصيل ينظر: د. حسن ناصر عبد الحسين، تحديات استعادة المكانة الدولية لروسيا الاتحادية، مجلة مركز دراسات الكوفة، مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، العدد ٥٠، ٢٠١٨، ص ١٢٦ – ١٣٧.

(١٥) د. نورهان الشيخ، البحث عن المكانة: نظام عالمي جديد بدور روسي مؤثر، المركز العربي للبحوث والدراسات، ٥/ ١/ ٢٠١٥، متوقر على الرابط:

http://www.acrseg.org/list/25/stamations

(١٦) د. شذى زكي حسن، حلف شمال الأطلسي والتوازنات الاقليمية في الشرق الأوسط (دراسة في الازمة السورية)، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، الجامعة المستنصرية، العدد ٤٥، ٢٠١٤، ص ١٠١ – ١٠٢.

(١٧) أمينة عادل حلمي مطاوع، دوافع وتأثير التدخل العسكري الروسي والقوى المتصارعة في سوريا، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية الاقتصادية والسياسية، ٢٦/ ٧/ ٢٠١٦، متوفر على الرابط:

https://democraticac.de/?p=34609#respond

(١٨) وليد محمد علي، الرؤية الروسية لمستقبل المنطقة، حلقة نقاش (مئة عام على سايكس بيكو خرائط جديدة ترسم)، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ٢٦/ ٥/ ٢٠١٦، ص ٦.

(١٩) كريم المفتي، مصالح روسيا والصين في الشرق الأوسط: دراسة تحليلية، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٤٧ – ٤٨، ٢٠١٥، ص ٣٦.

(٢٠) محمد غسان الشبوط، امريكا وروسيا من يسيطر على الطاقة يحكم العالم بلا منازع، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية، ٢٤/ ٥/ ٢٠١٨، متوفر على الرابط:

https://democraticac.de/?cat=2

(٢١) آنا بورشفسكايا، مصالح روسيا الكثيرة في سوريا، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، ٢٤/ ١/ ٢٠١٣، متوفر على الرابط:

https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/russias-many-interests-in-syria#

(٢٢) وليد محمد علي، مصدر سبق ذكره، ص ٣ – ٤.

(٢٣) د. اياد بدر زيتي، الأبعاد الاستراتيجية للموقف الروسي والصيني المشترك من الأزمة السورية، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، الجامعة المستنصرية، العدد ٤٩، ٢٠١٥، ص ٥٢. كذلك ينظر: كاظم هاشم نعمة، روسيا والشرق الأوسط بعد الحرب الباردة فرص وتحديات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٦، ص ٤٧.

(٢٤) كريم المفتي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧.

(٢٥) ديمتري ترنين، المصالح الروسية في سورية، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، ١١/ ٦/ ٢٠١٤، متوفر على الرابط:

https://carnegie-mec.org/2014/06/11/ar-pub-55899#

(٢٦) أمينه عادل حلمي محمد، دوافع وتأثير التدخل العسكري الروسي والقوى المتصارعة في سوريا، المركز الديمقراطي .

(٢٧) ديمتري ترنين، مصدر سبق ذكره.

(28) Nikolay Kozhanov، Russian Policy Across the Middle East Motivations and Methods، Russia and Eurasia Programme، Chatham House، The Royal International Affairs، London، February 2018، P. 7.

(٢٩) آنا بورشفسكايا، أهداف روسيا الاستراتيجية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، ١٥/ ٦/ ٢٠١٧، متوفر على الرابط:
https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/russias-strategic-objectives-in-the-middle-east-and-north-africa#

(٣٠) علاء عبد الحفيظ محمد، تأثيرات الصعود الروسي والصيني في هيكل النظام الدولي في إطار نظرية تحول القوة، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٤٧ – ٤٨، خريف ٢٠١٥، ص ١٤.

(٣١) عماد يوسف قدورة، روسيا وتركيا: علاقات متطورة وطموحات متنافسة في المنطقة العربية، تحليل سياسات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ايار ٢٠١٥، ص ١٦. كذلك ينظر: د. وسيم خليل قلعجية، روسيا الأوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٦، ص ٣٣٦.

المصادر

المصادر باللغة العربية والمترجمة:

أولاً : الكتب العربية والمترجمة

١. عدنان السيد حسين، قضايا دولية التوسع الأطلسي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٩.

٢. قاسم دحمان، السياسة الخارجية الروسية في آسيا الوسطى والقوقاز، إي – كتب، لندن، ٢٠١٦.

٣. كاظم هاشم نعمة، روسيا والشرق الأوسط بعد الحرب الباردة فرص وتحديات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٦.

٤. وسيم خليل قلعجية، روسيا الأوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٦.

ثانيًا : البحوث والدراسات

١. أحمد باسل البياتي، موقف جمهورية روسيا الاتحادية من توسع حلف شمال الأطلسي، مجلة دراسات إقليمية، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، العدد ٤، كانون الأول ٢٠٠٥.

٢. أمينة عادل حلمي مطاوع، دوافع وتأثير التدخل العسكري الروسي والقوى المتصارعة في سوريا، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية الاقتصادية والسياسية، ٢٦/ ٧/ ٢٠١٦، متوفر على الرابط:
https://democraticac.de/?p=34609#respond

٣. حسن ناصر عبد الحسين، تحديات استعادة المكانة الدولية لروسيا الاتحادية، مجلة مركز دراسات الكوفة، مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، العدد ٥٠، ٢٠١٨.
٤. حميد حمد السعدون، الدور الدولي الجديد لروسيا، مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العدد ٤٢، ٢٠٠٩.
٥. خلود محمد خميس، الازمة السورية واستراتيجية التدخل الروسي في المنطقة العربية، مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، جامعة بغداد، بغداد، العدد ٦٠، ٢٠١٥.
٦. د. اياد بدر زيتي، الأبعاد الاستراتيجية للموقف الروسي والصيني المشترك من الأزمة السورية، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، الجامعة المستنصرية، العدد ٤٩، ٢٠١٥.
٧. شذى زكي حسن، حلف شمال الأطلسي والتوازنات الاقليمية في الشرق الأوسط (دراسة في الازمة السورية)، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، الجامعة المستنصرية، العدد ٤٥، ٢٠١٤.
٨. علاء عبد الحفيظ محمد، تأثيرات الصعود الروسي والصيني في هيكل النظام الدولي في إطار نظرية تحول القوة، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٤٧ – ٤٨، خريف ٢٠١٥.
٩. عماد يوسف قدورة، روسيا وتركيا: علاقات متطورة وطموحات متنافسة في المنطقة العربية، تحليل سياسات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ايار ٢٠١٥.
١٠. فكتور ليبيديف، الأوضاع الاقتصادية والسياسية والأمنية في روسيا الاتحادية، سلسلة محاضرات الإمارات، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، العدد ٢٨، ١٩٩٩.
١١. كريم المفتي، مصالح روسيا والصين في الشرق الأوسط: دراسة تحليلية، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٤٧ – ٤٨، ٢٠١٥.
١٢. محمد مجدان، سياسة روسيا الخارجية اليوم: البحث عن دور عالمي مؤثر، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٤٧ – ٤٨، خريف ٢٠١٥.
١٣. مهيمن عبد الحليم الوادي، السياسة الروسية الثابت والمتحول الجغرافي في ظل المتغيرات الجيوستراتيجية (دراسة في منظور الجغرافية السياسية والجيوبوليتك)، مجلة كلية التربية للبنات، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، المجلد ٢٥، العدد ١، ٢٠١٤.

١٤. واثق محمد براك السعدون، الأبعاد الاستراتيجية للحرب الروسية – الجورجية آب ٢٠٠٨، مجلة دراسات إقليمية، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، العدد ٣٤، ٢٠١٤.

١٥. واثق محمد براك السعدون، الاستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة، مجلة دراسات إقليمية، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، العدد ٣٢، ٢٠١٣، ص ٣٩٨.

١٦. وليد محمد علي، الرؤية الروسية لمستقبل المنطقة، حلقة نقاش (مئة عام على سايكس بيكو خرائط جديدة ترسم)، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ٢٦/ ٥/ ٢٠١٦.

ثالثاً : المقالات

١. آنا بورشفسكايا، مصالح روسيا الكثيرة في سوريا، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، ٢٤/ ١/ ٢٠١٣، متوفر على الرابط:

https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/russias-many-interests-in-syria#

٢. آنا بورشفسكايا، أهداف روسيا الاستراتيجية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، ١٥/ ٦/ ٢٠١٧، متوفر على الرابط:

https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-

٣. ديمتري ترنين، المصالح الروسية في سورية، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، ١١/ ٦/ ٢٠١٤، متوفر على الرابط:

https://carnegie-mec.org/2014/06/11/ar-pub-55899#
analysis/view/russias-strategic-objectives-in-the-middle-east-and-north-africa#

٤. نورهان الشيخ، البحث عن المكانة: نظام عالمي جديد بدور روسي مؤثر، المركز العربي للبحوث والدراسات، ٥/ ١/ ٢٠١٥، متوقر على الرابط:

http://www.acrseg.org/list/25/stamations

٥. محمد غسان الشبوط، امريكا وروسيا من يسيطر على الطاقة يحكم العالم بلا منازع، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية، ٢٤/ ٥/ ٢٠١٨، متوفر على الرابط:
https://democraticac.de/?cat=2

المصادر باللغة الانكليزية :

1. Jeffrey Mankoff، Russian foreign policy the return of great power politics، A council on foreign relations.
2. Mikkel Bogeskov Eriksen، Russia's Engagement in Syria What are Russia's motives?، Royal Danish Defence College، October 2017.

3. Nikolay Kozhanov، Russian Policy Across the Middle East Motivations and Methods، Russia and Eurasia Programme، Chatham House، The Royal International Affairs، London، February 2018.